فساد الدولة المملوكية في عهد السلطان فرج بن برقوق

من سنة ٨١٠- ٨١٢هـ/١٤٠٧-١٤٠٩م

أ. د/ عبد الفتاح فتحي عبد الفتاح

أستاذ مساعد بقسم التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

كلية دار العلوم - جامعة القاهرة

تقديم:

يعالج هذا البحث جانبًا من الجوانب السلبية في العصر المملوكي، ألا هو سرطان (الفساد)، الذي استشرى في جسد الدولة المملوكية على الصعيد السياسي، والإداري، والمالي بكل مظاهره وأسبابه، ونتائجه المدمرة إنسانيًّا، واقتصاديًّا واجتماعيًّا للعديد من طبقات المجتمع.

واخترت التركيز على مدة وجيزة من السلطنة الثانية للسلطان فرج بن برقوق، تصاعد فيها الفساد حتى بلغ أوجه لما دانت أمور الدولة لجمال الدين الإستادار[1].

---

(١) من وظائف أرباب السيوف، ويرى القلقشندي أن صورتها الصحيحة (الإسْتَدّار) بكسر الهمزة، وهو لقب يطلق على من يتولى قبض مال السلطان أو الأمير وصرفه، وتُمتيل أوامره فيه. وهو مركب من لفظتين فارسيتين: إستذ ومعناها: الأخذ. والثانية: دار، ومعناها: الممسك، فأدغمت الذال في الدال، فصارت (إستدار)؛ أي: المتولي للأخذ. وخطَّأ القلقشندي من يجعلها من الكتّاب بضم الهمزة. وصاحبها يتولى شئون بيوت السلطان من المطابخ والشراب خاناه، والحاشيةن والغلمان، وله مطلق التصرف في استدعاء كل ما في بيت السلطان من النفقة والكسوة وما يجري مجرى ذلك من المماليك. وغيرهم (القلقشندي: صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر د.ت، جـ٤، ص٢٠، جـ٥، ص٤٥٧). ولعل اللفظ الوارد الشائع المثبت في متن البحث استخدم على سبيل التخفيف.

صحيح أن عهد فرج بن برقوق (٨٠١- ٨١٥هـ/ ١٣٩٩- ١٤١٢م) [١]، تتمثل فيه خصائص الدولة المملوكية الجركسية من ضعف الاستقرار السياسي، وكثرة الاضطرابات والفتن والثورات الداخلية[٢]، والانحطاط الاقتصادي[٣]، وانتشار الرشاوي والمحسوبية[٤]، وكثرة المظالم والمصادرات[٥]، والسجن والتعذيب والقتل[٦]، إلا أن ما قام به جمال الدين الإستادار يكاد يفوق كل وصف، وإليه ترجع العديد من مظاهر الخراب والدمار في تلك الدولة.

ويمكن معالجة هذا الموضوع في النقاط الآتية:

أولاً: التعريف بجمال الدين الإستادار، وتدرجه في المناصب:

١- التعريف به:

هو يوسف بن أحمد بن محمد بن أحمد بن جعفر بن قاسم، الأمير الوزير المشير جمال الدين الإستادار البيريّ الحلبي، المعروف بـ(إستادار بَجاس) [٧].

---

(١) معلوم أن فرج بن برقوق ولي السلطنة مرتين تكادان تتصلان معًا؛ لأن أخاه عبد العزيز ولي مدة وجيزة لا تكاد تُذكر سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م (مدة شهرين، وعشرة أيام). (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٢م، جـ١٣، ص٩).

(٢) د. سعيد عبد الفتاح عاشور: العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٩٤م، ص ١٥٨- ١٦٠.

(٣) راجع –مثلًا- المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: د. سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٧٢م، جـ٤، ق١، ص٢٨- ٢٩.

(٤) المقريزي: المصدر السابق: جـ٤، ق١، ص ١٩، ٧٤، ود. أحمد عبد الرازق أحمد: البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م، ص ٤٤، ٧٤، ٧٥- ٧٧.

(٥) راجع –مثلًا-: ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص٢٥٥.

(٦) د. سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٦٢م، ص ٩٨- ٩٩.

(٧) المقريزي: در ر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق وتعليق: د. محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي – بيروت ٢٠٠٢م، جـ٢، ص٥٦٢ (ترجمة رقم ١٤٥٩)، والسخاوي: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت، جـ١٠، ص٢٩٤ (ترجمة رقم ١١٥٧).

ولد سنة (٧٥٢هـ/ ١٣٥١م) بمدينة (البيرة) [١]، وكان أبوه خطيبها، وتزوج أخت وزير حلب عبد الله بن يوسف بن سحلول، فولدت له جمال الدين يوسف الذي نترجم له. ويبدو أن والده توفي، فنشأ في كنف خاله، فحفظ القرآن، وكتبًا في الفقه والعربية، منها: ألفية ابن مُعطٍ، وعرضها على أبي عبد الله بن جابر الأندلسي، وسمع منه شرحها بحلب وغير ذلك. وعلى هذا فقد نشأ نشأة دينية، وتزيًّا بزي الفقهاء، لكنه تعرض لضائقة مالية شديدة ارتحل على إثرها إلى دمشق، وتحول إلى جندي يخدم أحد أعيانها[٢]، ثم قدم إلى مصر سنة ٧٧٠هـ/ ١٣٦٨م، فشغل منصب إستادار الأمير بجاس لمدة طويلة، وتزوج ابنته، وعلم قدره عنده، حتى عُرف به، ونُسب إليه[٣].

٢- تدرجه في المناصب:

أ- ولي جمال الدين الإستادارية عند جماعة من الأمراء، مثل: الأتابك بيبرس، وسودون الحمزاوي[٤]، وتحول من العوز والإعسار إلى الغنى والثراء، وغدت له أموال كثيرة واشتهر بذلك بعد موت السلطان الظاهر برقوق (٨١٠هـ/ ١٣٩٩) [٥]، حتى أشيع أنه وجد كنزًا من كنوز الفاطميين فهو ينفق منه كيف يشاء[٦]. ونقل أنه كان

---

(١) بلد قريب سُميساط بين حلب والثغور الرومية، وهي قلعة حصينة. وثمة مدينة أخرى بالاسم نفسه تقع بين بيت المقدس ونابلس، خربها صلاح الدين حين استردها من الفرنج. وألِفُ (البيرة) هذه ألِفُ وصل زائدة، والنسبة إليها -كما في المتن- البيري، وهذا يختلف عن مدينة (إلبيرة) الأندلسية، فألفها ألِفُ قطع، وهي أصل، والنسبة إليها: الإلبيري). (ياقوت الحموي: معجم البلدان، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية -بيروت، ١٩٩٠م، جـ١، ص٦٢٤ (رقم ٢٣٤٩).

(٢) خدم الشيخ عليًّا كاشف بر دمشق، ثم خدم غيره من جامعي الضرائب من الفلاحين (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٥٧).

(٣) السخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٩٤- ٢٩٥.

(٤) السخاوي: المصدر السابق، جـ١٠، ٢٩٥.

(٥) المقريزي: درر العقود الفريدة، جـ٣، ص٥٦٢.

(٦) نفسه، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٥٧، والراجح أنها من الشائعات المثارة عليه، وكذلك أرى من المبالغات الزعم بأنه اجتمعت له إستادارية نحو عشرين أميرًا (المقريزي: درر العقود الفريدة، جـ٣، ص٥٦٣)؛ إذ كيف يشرف على شئون هذا العدد الكبير من الأمراء؟!

قبيح المنظر دميم الخِلقة، شديد القصر أعور[1]، لكنه -في بدايات أمره- كانت فيه مروءة، وقضاء لحوائج الناس، وأصبح ملاذًا للملهوفين، يقصده الناس في الملمات، وينهض بالأعباء الثقيلة التي لا يقوم بها عند وجهاء القوم غيره، فزادت مكانته، وقبلت وساطته وشفاعته[2]، وكان ذا صلة طيبة بأكابر الأمراء، مثل: الأمير الوزير سعد الدين إبراهيم بن عبد الرزاق بن غراب[3]، مقتديًا به في مكارمه وفضائله في بادئ الأمر، لكن جمال الدين تغير بعد ذلك[4]، على نحو ما سنرى.

ب- في سنة (٨٠٥هـ/ ١٤٠٢م): اعتُقِل سعد الدين إبراهيم بن غراب وأخوه فخر الدين ماجد، وتعرض جمال الدين للأذى؛ بسبب علاقته بهما، فتم القبض عليه في أصحاب ابن غراب[5].

ج- في سنة (٨٠٧هـ/ ١٤٠٤م): ولي جمال الدين إستادارية السلطان، إضافة إلى ما كان يتولاه من إستادارية الأمير بيبرس (ابن أخت السلطان) [6]، ثم أضيفت له عدة مناصب سنة (٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م): نظر الخاص، والوزارة، وكشف الوجه البحري[7]؛ ولذلك فلا غرو أن تكثر أعداد الرسل والعاملين على بابه، وتزداد أموالهم[8].

د- لقد خدمت الظروف جمال الدين بعد القبض على المشير يلبغا السالمي

---

(١) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص١٢٧، ١٣٠، والسخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٩٧.

(٢) المقريزي: درر العقود الفريدة، جـ٣، ص٥٦٣، والسخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٩٥.

(٣) المقريزي: السلوك جـ٣، ق٣، ص١٠٦٩- ١٠٧٠.

(٤) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص١١٢- ١١٣، (توفي هذا الأمير سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م).

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق٣، ص ١١٠٣.

(٦) المقريزي: المصدر السابق، جـ٣، ق٣، ص١١٤٣.

(٧) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٣، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص٢٤٠، وناظر الخاص: هو الذي ينظر في خاص أموال السلطان. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٥، ص٤٦٥).

(٨) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٢٨٩.

ونفيه[1]، والقبض على فخر الدين ماجد بن غراب ومعاقبة جمال الدين له ومصادرته[2]، وفرار الأمير يشبك إلى دمشق بالشام ٨١٠هـ/ ١٤٠٧م، حينها انفرد جمال الدين بالقلم السلطاني، وأصبح عزيز مصر، وانقادت أمور الدولة له[3].

ثانيًا - مظاهر الفساد وأسبابه:

١- الفساد السياسي والإداري:

شاع في ذلك العصر المؤامرات العديدة في حق الكثيرين؛ لتحقيق مصالح شخصية ضيقة، وقد تقترن بتقييد الحريات (الاعتقال)، والمصادرات والتعذيب، وربما انتهت نهاية مأساوية، تتمثل في القتل البشع، فلا حرمة للأرواح في ظل شيوع سفك الدماء.

ثمة مثال بارز على ما تقدم، حيث حسد جمالُ الدين يلبغا السالميَّ على مكانته في الدولة، فمالأ ابن البقري عليه، حتى قُبض على السالمي ونُفي[4]، ويبدو أن جمال الدين حل محله في هذه الوظيفة، و ثمة نسخة تقليد له تؤيد هذا التراجيح مؤرخة في شهر شعبان سنة ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م[5].

---

(١) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٣. وظيفة المشير المذكورة في المتن من الوظائف الكبرى في دولة المماليك بعد السلطنة والوزارة، ومتوليها من كبار الأمراء، لكن ليس له عمل معين، إلا أن يحضر مجلس المشورة. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٦، ص٧٠؛ والمقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٨٩٠، حاشية رقم ١).

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣، ص٢١، وعلق قائلًا: «وهذا أول ابتداء تحكم جمال الدين في الناس».

(٣) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٣.

(٤) نفسه.

(٥) ورد نصها لدى القلقشندي: صبح الأعشى، جـ١١، ص١٥٣- ١٥٦، وكاتبها المُقِرُّ الشمسي العُمري كاتب الدَّسْت الشريف (كاتب المنصب العظيم منصب السلطنة، وهو يكتب للسلطان بشكاوى الناس، ويكتب أوامره ونواهيه للرعية. القلقشندي: المصدر السابق، جـ١١، ص٣٣٥- ٣٣٦، وفيها يتولى منصب الإشارة جمال الدين يوسف البشاسي (والصواب: البجاسي، كما صوبها د. محمد مصطفى زيادة في: المقريزي: السلوك، جـ٢، ق٣، ص٨٩٠، حاشية ١). وهو إستادار في الدولة الناصرية فرج، حين فوضت إليه الإشارة مضافة إلى الإستدارية. والتقليد مملوء بالمدح والإعجاب بجمال الدين، وبه إشارة إلى طبيعة المنصب ومتطلباته من الرأي الصائب، والقريحة المتقدة، إضافة إلى ما ورد في التقليد من سابق خبرة، وإنجازات حققها جمال الدين فيما تولى من مناصب (قام بدفع المفاسد، وضبط الأسعار، والحسم في التنفيذ).

هذا، وقد استدار جمال الدين قبلُ (سنة ٨٠٨هـ/ ١٤٠٥م) إلى الوزير تاج الدين عبد الله بن سعد الدين البقري الذي كان حليفه ضد السالمي، وقَدَّم للسلطان مبلغًا جزيلًا جدًّا من المال حتى تسلمه منه، وعذبه حتى القتل. وقيل: إن جمال الدين فعل ذلك لما بلغه التزام السالمي بدفع آلاف الدنانير للسلطان مقابل تخليصه من بعض رجال الدولة، ومنهم: جمال الدين، فسبقه جمال الدين[١]. لكن طبيعة جمال الدين، ومواقفه التي سنرى المزيد منها، وبطشه وسفكه للدماء تجعلني أرجح خيانته لصاحبه القديم في سبيل التقرب إلى السلطان بدمه. وهكذا استعان بالبقري على السالمي، ثم عدا على البقري في سبيل المنصب والمصلحة الذاتية!

- الرشوة والمحسوبية:

شاعت الرشوة في العصر المملوكي؛ لا سيما عهد السلطان فرج بن برقوق، وقد رأينا السلطان يقبل المال الجزيل من جمال الدين؛ ليخلصه من يلبغا السالمي، ومن قبلُ (سنة ٨٠٢هـ/ ١٤٠٠م) عُزل المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي من منصب حسبة القاهرة، وولى غيره مقابل مال وعد بتقديمه للسلطان[٢]، وفي سنة ٨٠٨هـ رضي السلطان عن فخر الدين بن غراب، وظل في مناصبه مشيرًا ووزيرًا وناظر الخاص، وخلع عليه السلطان بعدما دفع له مبلغ عشرين ألف دينار[٣].

وثمة مثال شهير للغاية يدلل على ما نحن بصدده، ففي سنة ٨١٠هـ شق السلطان فرج شوارع القاهرة بثياب جلوسه (متخففًا من الزي الرسمي للسلطنة)، ومر على العديد من الأمراء في بيوتهم، ومنهم الأمير جمال الدين الإستادار فأكل في ضيافته، ثم

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، تحقيق وتعليق: د. حسن حبشي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٧١م، جـ٢، ص٢٢١، (ترجمة رقم ٤٢٣).

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الثانية، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م، جـ١، ق٢، ص٥٨٢.

(٣) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص١٩، وابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٧٥١.

عاد إلى القلعة[1]. ويلفت بعض المؤرخين أنظارنا إلى هيئة السلطان في هذه الزيارات التي قام بها، وأنه لم يعهد -قط- أن ملكًا من ملوك مصر سار بهذه الهيئة[2]، لكن الأهم -في نظري- أنه ما من أحد ممن مر عليهم السلطان إلا وقدم هدايا لجلالته (رشاوى مُقنَّعة) من الخيل والمال، وغيره مما يليق به[3].

إذا كان جمال الدين الإستادار يتتبع ذوي الكفاءات من الأمراء ممن يخشى منافستهم إياه، فكان يخيف السلطان من اتساع نفوذهم، ويقدم له الأموال الطائلة مقابل السماح له بالقبض عليهم وقتلهم[4]؛ فإنه -أيضًا- كان يستخدم نفوذه ومحسوبيته لصالح أفراد أسرته وبعض المقربين له؛ كي يتولوا من المناصب ما ليسوا أهلًا لها، أو ما يُقَدِّمون إليها دون غيرهم.

ومن الأمثلة على ذلك:

أ- توليته ابنه أحمد إمارة الحج على صغر سنه (لم يبلغ السابعة عشرة)؛ بسبب نفوذ أبيه وجاهه، رغم سخف الابن وطيشه[5]، والبذخ والإسراف في إطلاق النفقات، حيث بلغت سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م أربعين ألف دينار، منها لشيخ الجبال -لعله دليل

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٦١، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٣٢.

(٢) المقريزي: السلوك جـ٤، ق١، ص٦١. وإذا كان الناصر فرج أول من ترخص في ذلك، فإن السلطان المؤيد شيخًا اقتدى به، ثم من بعده من السلاطين، وخرج بالهيئة نفسها السلطان جَقْمَق (سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م)، وعُدّ هذا مما ضُيِّع من قوانين المملكة، وبطل من رسومها. (المقريزي: المصدر السابق، جـ٤، ق٣، ص١٢٢١).

(٣) المقريزي: السابق، جـ٤، ق١، ص٦١. ومن الإنصاف أن نذكر ركوب السلطان في هذه الجولة نفسها إلى المدرسة الظاهرية بين القصرين، حيث زار قبور أمه وجده، وإخوته، وأنعم بناحية منبابة (لعلها إمبابة الحالية) من الجيزة على المدرسة الظاهرية، زيادة على وقف أبيه، فتسلمها مباشرو المدرسة. ولي تعليق على هذا الوقف، فإنه من أراضي الدولة والشعب، وليس من مال أبيه ولا أمه، فالجولة كلها أخذ لا عطاء فيها.

(٤) قتل يلبغا السالمي سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م بالإسكندرية في شهر جمادى الآخرة، وقتل في السنة نفسها في ذي الحجة فخر الدين ماجد بن غراب، وتخلص من الوزير البقري كما رأينا من قبل، وكذلك من الأمير ناصر الدين محمد بن الأمير محمود، وناصر الدين محمد بن كلفت، وغيرهم. (المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٦).

(٥) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٥٣ (أحداث سنة ٨١٠هـ)، وابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٧٧٨.

الصحراء إلى أرض الحجاز- خمسون ألف درهم[1].

ب- مَنْح أخيه محمد وظيفة تدريس المذهب الشافعي بالقرافة، ومشيخة خانكاه بيبرس بالقاهرة إضافة إلى توليه خطابة بيت المقدس[2] (ولعله كان ينيب عنه من يقوم بذلك).

ج- توليته زوج بنت أخيه، واسمه أبو بكر بن سليمان (المعروف بابن العجمي الحلبي) في توقيع الدوادار الكبير، وذلك بعد مجيئه من حلب أيام سطوة جمال الدين، فأصبح من رؤساء القاهرة، ثم نُكب مع جمال الدين حتى أوشك على الهلاك[3].

وتجدر الإشارة إلى أن المحسوبية انتقلت إلى قطاع آخر في المجتمع المملوكي، فها هو ناصر الدين محمد بن قاضي القضاة كمال الدين عمر بن العديم الحنفي يدرس

---

(١) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٨٤ (أحداث سنة ٨١١هـ).

(٢) المقريزي: المصدر السابق، جـ٤، ق١، ص٧٩ (سنة ٨١١هـ). وأضاف السيوطي عزله عن تدريس المدرسة الصلاحية سنة ٨١٢هـ/ ١٤٠٩م بعد نكبة أخيه جمال الدين. (السيوطي: حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٨م، جـ٢، ص٢٥٨. وعبر عن ذلك الصيرفي في: نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٥٠ (رقم ٤٦٧) قائلًا: تولى تدريس قبة الإمام الجليل محمد بن إدريس الشافعي. والخانكاه (أو بالقاف الخانقاه) الواردة في المتن، هي دار تنقطع فيها الصوفية للعبادة والذكر. وذكر المقريزي -أيضًا- أن الخوانك جمع خانكاه، وهي كلمة فارسية، معناها بيت، وقيل: أصلها خونقاه؛ أي: الموضع الذي يأكل فيه الملك، ثم استحدثت في الإسلام حوالي سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، وجعلت لتخلي الصوفية للعبادة. وخانكاه بيبرس جزء من دار الوزارة الكبرى، وهي أعظم خانكاه بالقاهرة بنيانًا وأوسعها مقدارًا، وأتقنها صنعة، بناها ركن الدين بيبرس بدءًا من سنة ٧٠٦هـ/ ١٣٠٦م. (المقريزي: المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ١٩٨٧م، جـ٢، ص٤١٤، ٤١٦).

(٣) راجع ترجمته مفصلة في: المقريزي: السلوك جـ٤، ق٣، ص١٢٣٤ - ١٢٣٥، وذكر ابن حجر في: إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق وتعليق: د. حسن حبشي، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٨م: جـ٤، ص١٦٧: أنه ولد بحلب ٧٧٧هـ، وعمل بصناعة التوقيع فمهر فيها، وقدم مصر سنة ٨٠٧هـ فعينه جمال الدين في توقيع الدست، فباشره حتى مات (سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م). وهنا نلحظ مهارة الرجل، لكن نفوذ جمال الدين هو الذي أبرزه، وربما وجد غيره من المهرة، لكنهم لم يشتهروا لعدم توسط جمال الدين لهم. والدوادار: اسم فارسي مركب من لفظين: أحدهما عربي وهو الدواة، والثاني: دار بمعنى ممسك، فصاحب هذه الوظيفة يحمل دواة السلطان أو الأمير، وما يلحق ذلك من المهام كتبليغ الرسائل عن السلطان وتقديم الشكاوى له. والتوقيع خاص بمن يوقع بخط الخليفة أو السلطان، أو غيره من ذوي المناصب. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص١٩، جـ٥، ص٤٦٢).

المذهب الحنفي في مشيخة خانكاه شيخو[1]، وفي المدرسة المنصورية رغم صغر سنه وانعدام وقاره، وذلك بتدخل من والده قاضي قضاة الحنفية في حلب ثم مصر، وذلك سنة ٨١١هـ/ ١٤٠٨م[2]. وفي السنة نفسها توفي ابن العديم، فولى ابنه مكانه بتدخل من الأمير تغري بردي والد المؤرخ أبي المحاسن بن تغري بردي المشهور؛ لأنه كان متزوجًا بإحدى بنات الأمير تغري بردي[3]. وقد عزله السلطان سريعًا في العام نفسه وأعاد مكانه القاضي أمين الدين الطرابلسي، فشكر الناس ذلك[4]؛ مما يدل على سوء القاضي السابق، لكنه استطاع أن يعود في العام التالي بعد دفعه مالًا جزيلًا[5].

أ- نماذج من الفساد المالي:

أ- عرف عن جمال الدين الإستادار نهمه الشديد للاستيلاء على أموال الناس، ولطالما سلط رسله وأعوانه للاستقصاء في جمع أموال التجار وعامة الرعية، ومصادرة بضائعهم، ثم طرحها لحسابه الخاص في الأسواق بأضعاف مضاعفة لقيمتها الحقيقية[6].

---

(١) الخانكاه المذكورة كانت من جملة قطائع أحمد بن طولون خارج القاهرة، وأنشأها الأمير الكبير سيف الدين شيخو العمري سنة ٧٥٦هـ/ ١٣٥٥م. (المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤٢١).

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٧٤. يلاحظ وجود خطأ مطبعي في نص المقريزي يحرف المعنى المراد الواضح من السياق، إذ يقول عن تدريس محمد بن القاضي ابن العديم في مشيخة خانكاه شيخو: «برغبة من أبيه له عنها»، وعن تدريسه في المدرسة المنصورية قال: كما رغب له عن تدريس المدرسة المنصورية». والصواب: رغب في، أما رغب عن، فتعني: كره ولم يرغب. (وعلق المقريزي على موقف ابن العديم قائلًا: فيا نفس، جِدِّي، إن دهرك هازل). وَرَدَّ ابن تغري بردي: كان ابن العديم الوالد فاضلًا وجيهًا عند الملوك وقورًا، ثلبه المقريزي لأمور هو بريء منها لأمر كان بينهما. (ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ١٣، ١٢٤). والحق أن شفاعته لابنه وهو غير ماهر خطأ يؤخذ على ابن العديم لا يعتذر عنه، ثم إن ابن تغري بردي لم يصرح بالخلاف بين الرجلين، ولا يبعد ابن تغري بردي عن شبهة التحيز لابن العديم كما هو واضح.

(٣) نفسه.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٧٩.

(٥) المقريزي: المصدر السابق، جـ٤، ق١، ص٩١- ٩٢.

(٦) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٥. وراجع المزيد من مظاهر الفساد المالي، والظلم الاقتصادي والشكوى من الأسعار عامة، وتسعير السلع أحيانًا بما يضر التجار في: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر- دراسة تحليلية للازدهار والانهيار، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ١٩٨٨م، ص٢٧٤- ٢٧٥.

ب- عرف العديد من مظاهر الفساد المالي بعد النكبة التي أصابت جمال الدين، والقبض عليه، ومحاسبته حسابًا عسيرًا، وتعذيبه الشديد، حتى أقر بأماكن كنوزه المخبأة والظاهرة، مثل: داره الفسيحة التي تعرف بـ (القصر)، وظلت أخبارها موجودة حتى سنة ٨٤٤هـ/ ١٤٤٠م، حين نزلها رسول ملك المشرق شاه رخ بن اللنك[١].

ج- استيلاؤه على جملة من وقف أم السلطان (خوند بركة أم السلطان الملك الأشرف شعبان بن حسين بن محمد بن قلاوون ٧٦٤- ٧٧٨هـ/ ١٣٦٣- ١٣٧٦م)، الذي جعلته على مدرستها قرب قلعة الجبل؛ فجعلها من جملة أوقافه على مدرسته الجمالية التي أنشأها بخط رحبة باب العيد، إلا أن القدر لم يمهله لاستغلال ما استولى عليه، فمات قبل الاستفادة من ذلك[٢].

د- استخرج المعذبون والمصادرون من جمال الدين الإستادار وولده وأقاربه ومعاونيه أموالًا طائلة لا تكاد تحصى، فاستخرجوا ذخائر من الأموال والجواهر والذهب الخالص في قصره[٣] علاوة على ما وجد بمدرسته، وبلغ جملة ما وجد له ٩٦٤ ألف دينار[٤].

هـ- انتشار فساد جمال الدين المالي في كثير من الأنحاء ودلائله واضحة للعيان، حيث اغتصب أموال الرعية وأمتعتها، وسَخَّر الصناع في مشاريعه الخاصة بأبخس الأجور، وأوقف ضرائب العشور على الفرنج، بينما أخذ بضائع العوام بأقل الأثمان،

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٤، ص١٥٧.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٣، ق١، ص٢١٠، جـ٤، ق١، ص٦٢١. وراجع تفاصيل استيلائه على الأوقاف وإحاطته بها، والحيل التي اتبعها في ذلك، ومساعدة بعض القضاة المنحرفين له على تحقيق أغراضه ومطامعه الدنيوية في: الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٥٥، ٢٥٦- ٢٦٠، السخاوي: الضوء اللامع، جـ١٠، ص٢٩٥- ٢٩٦، وكذلك راجع ما يتصل بمدرسة جمال الدين برحبة باب العيد بالقاهرة، والفخامة التي كانت عليها، والرخام المنهوب الذي جلب لها في: المقريزي: الخطط، جـ٢، ص٤٠١- ٤٠٣.

(٣) المقريزي: السلوك: جـ٤، ق١، ص١٠٩، وابن حجر: إنباء الغمر، جـ٢، ص٤٣١- ٤٣٢.

(٤) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص ١١٣.

وباعها في الأسواق بأضعاف مضاعفة، وزاد الضرائب على الأراضي الزراعية للفلاحين، وتلاعب بسعر العملة؛ مما أضر بالرعية وتاجر في الفلوس لصالحه، وأهمل في الإنفاق على مشروعات الزراعة وأهمل إقامة الجسور، فعم الخراب في البلاد[1]. وفي الوقت الذي يقتر في الإنفاق على مصالح البلاد والعباد، يوجه الأموال الباهظة، وينفق ببذخ وسفه وإسراف على المماليك السلطانية، والحاشية، ويدفع لكبار الأمراء، ويؤدي لخزائن السلطان[2]؛ حتى يعمي الجميع عن فساده الذي عم جميع الأرجاء.

وهكذا استعرضنا ما تيسر لنا من مظاهر الفساد، واتضح لنا عدد من أسبابه المشجعة على سريانه مسرى النار في الهشيم حتى أتى على الأخضر واليابس كما سنرى، سواء كان بسبب غفلة السلطان وصغره وعدم كفاءته وضعف مهارته في إدارة شئون البلاد، أم كان في شبكة الفساد المحكمة الحلقات التي تحيط به برئاسة جمال الدين الإستادار وكبار الأمراء والمعاونين والحاشية، أم الفساد السياسي الذي يشيع الخوف وسفك الدماء، ويحصد أرواح الكفاءات أولًا بأول، وعدم وجود رقابة توقف الفاسدين المفسدين عند حد معين وتحاسبهم؛ فيدا جمال الدين مطلقة في كل شيء[3]، فماذا ترتب على ذلك؟ ذلك الذي نحاول رصده في السطور القادمة.

ثالثاً- نتائج تغلغل الفساد فترة تحكم جمال الدين في الدولة:

١- وضع السياسات الاقتصادية – والنقدية تحديدًا- الخاطئة: حيث حرص الأمراء وكبار القوم على زيادة أموالهم؛ كي يزدادوا غنًى ولو على حساب الفقراء

---

(١) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٤- ٥٦٥.

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٩- ٤٠، وابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق١، ص٥٤٠، ٥٤١، ٧٧٩.

(٣) لقد وضع جمال الدين يده على كل شيء تقريبًا في الدولة لما أطلق معظم الأمر والنهي له (ابن حجر: إنباء الغمر، جـ٢، ص٣٨٠)، وقد يكون في كلام المقريزي شيء من المبالغة، لكنها لا تنفي أصل الحقيقة التاريخية، ومظاهرها، ونتائجها وتنظيماتها المترتبة عليها، فالرجل متحكم مسيطر على شئون السياسة من التولية والعزل، والدواوين وتنظيماتها الإدارية، والسياسات المالية، والنقدية وهو سبب اضطرابها، ومتحكم في مناحي الحياة الاقتصادية من زراعة وصناعة وتجارة، وكذلك له قدرة على التحكم في بعض العلماء، وانزلقت مع ضلالاته أقدام بعض القضاة. (راجع التفاصيل في: المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٣- ٥٦٦).

والمعوزين، ولم يواجهوا الكوارث الكونية، ولم يضعوا الخطط الاقتصادية الرشيدة التي تعالج الكساد والبطالة[١]، بل تسببوا بعدم التخطيط الجيد، والتلاعب بسعر العملة وتعمد الإضرار بالناس[٢]، وإلغاء التعامل أحيانًا بالذهب والفضة، وإحلال ما يسمى بالفلوس النحاسية عديمة القيمة محلهما(٣)، أدى ذلك إلى الهبوط الحاد في قيمة العملة، وشيوع الغلاء الفاحش في سنوات عديدة في أسعار كل شيء[٤].

٢- الانحطاط الاقتصادي: وذلك واضح من الإهمال الذي حل بالأراضي الزراعية، ومشاريع الري، وعدم العناية بالجسور؛ مما أدى إلى بوار العديد من الأطيان الزراعية[٥]، وضعف إنتاج الأراضي التي ظل الفلاحون يزرعونها؛ لنقص الأسمدة، وقلة المياه اللازمة لجودة المحصول، إضافة إلى كثرة الضرائب التي ألهبت ظهور الفلاحين، وأحسوا أن الزراعة باتت غرمًا لا غنمًا، وكذلك عدم القدرة على تصريف المزروعات؛ نتيجة احتكار الدولة للأسواق والأراضي[٦]. وبطبيعة الحال ما ينهض على المزروعات والمحاصيل من صناعات، وما يكمل ذلك من حركة الأسواق التجارية الداخلية والخارجية تأثر تأثرًا شديدًا. ويضاف إلى ما تقدم انتشار القحط والجفاف وانخفاض مياه النيل في بعض السنوات[٧]، وشيوع الأوبئة والأمراض الفتاكة بالكثير من الناس (كالطاعون) [٨]، كل ذلك أدى إلى الانهيار الاقتصادي.

---

(١) د. سعيد عاشور: المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، ص٣٤- ٣٦، ٨٨.

(٢) السيوطي: حسن المحاضرة جـ٢، ص٣٠٨، وابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٦٩٥- ٦٩٧، ٧١٥، ود. عبد المنعم ماجد: التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر، ص ٢٨١، ٢٨٢.

(٣) ابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٥٤٠- ٥٤١، ٦٩٣- ٦٩٥.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق، جـ١، ق٢، ص٥٦٣، ٧٣٠.

(٥) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٥.

(٦) المقريزي: المصدر السابق، جـ٣، ص٥٦٥- ٥٦٦.

(٧) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٢، ص٢٣٤، وابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص٦٩٠- ٦٩١.

(٨) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٤٢- ٤٣، وابن إياس: بدائع الزهور، جـ١، ق٢، ص ٧٦٩- ٧٧٠.

٣- حدوث هزات اجتماعية خطيرة، تؤثر في سلامة البناء الاجتماعي، وتكاتف طبقات المجتمع، فتغلبت الأنانية والمصلحة الذاتية على الأثرياء، فخسر الأغنياء من حيث لا يعلمون وبدت المعاناة على الجميع. وقد عرض ذلك الأمر المقريزي بدقة بالغة، أختصرُه على النحو الآتي[1]:

أ- ظن أغنياء الدولة وأمراؤها أن الأموال كثرت بأيديهم، والحق أنها قلَّتْ بالنسبة لما كانت عليه من قبل؛ نظرًا لانخفاض قيمة العملة (كانت بالذهب والفضة، فباتت فلوسًا نحاسية).

ب- مياسير التجار: قد يكسبون من ارتفاع الأسعار وغلاء البضائع، ولكنهم يقاسون عند قضاء حوائجهم والإنفاق على ذويهم، فما كسبه تأكله المصروفات، ويتلفه هبوط العملة.

ج- والطبقة الوسطى من أرباب المعايش: لا تكاد تكفي حاجياتها، وتقف على حافة الاستدانة لتلبية بقية متطلبات حياتها.

د- أصحاب الفلاحة والأرض: هلك كثير منهم في سنوات الجدب والقحط، ومن نجحوا في ري أراضيهم، نالوا من زراعتها زمن الجفاف أموالًا جزيلة.

هـ- وأكثر أهل الفقه وطلاب العلم، ومن لحق بهم من الشهود وكثير من الجند ممن لديهم عقار أو دخل ثابت، أو راتب معلوم، فإنهم يعانون الفاقة والحرمان للغلاء الفاحش.

و- أرباب المهن والحرف تضاعفت أجرتهم؛ إلا أن الأوبئة والأمراض أفنت الكثير منهم.

ز- أهل الخصاصة والمسكنة: فني معظمهم جوعًا وبردًا، ولم يبق إلا أقل القليل منهم.

---

(١) المقريزي: إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: بدر الدين السباعي، دار ابن الوليد القاهرة، ١٩٥٦م، ص ٧٣- ٧٦.

رابعًا وأخيرًا - نهاية جمال الدين (٨١٢هـ/١٤٠٩م):

لما تصاعدت حدة الخلاف بين السلطان فرج بن برقوق والأمير شيخ بالشام، وفرَّ إليه يشبك؛ أصر السلطان على الخروج لمحاربة الخارجين عليه، وكانت إرهاصات العصيان بدت من قبل سنة ٨١٠هـ، وأمسك بهما السلطان ليقتلهما، لكن جمال الدين طلب إليه تأجيل ذلك، ثم تآمرا مع نائب القلعة ووعداه مالًا كثيرًا، حتى أطلقهما، فدفع حياته ثمن خيانته[١].

تحرك السلطان في المرة الأخيرة، فتباطأ جمال الدين، وتأخر في اللحاق به من القاهرة[٢]، ولما التحق بالسلطان -وكان يثق به هو وكاتب السر [٣] فتح الله -أطلعهما على خطة الإيقاع بالمعارضين، فلما علم بها جمال الدين أرسل إليهم من يحذرهم، وأمدهم بالأموال، ثم ضن على السلطان بثلاثين ألف دينار شُهد إخفاؤه لها، فتنكر له السلطان، وأسرَّها في نفسه، ثم تم إبلاغ السلطان بخيانة جمال الدين وإفشائه الأسرار، وإمداد أعدائه بالأموال سرًّا. وكاد السلطان يقبض عليه، ثم أجَّل ذلك، كي لا يهرب ابنه وابن أخته بأمواله من القاهرة. وأخيرًا كشفت رسالة موجهة من جمال الدين إلى الأمير شيخ فيها يبدي تضامنه معه ضد السلطان، وتم إرسال الرسالة وتلقي رد الأمير شيخ، فثبتت خيانته جلية لا لبس فيها[٤].

لقد كان جمال الدين غافلًا عما يحاك له؛ لفرط ثقته بنفسه، وإن كان أحس تغيرًا ما من السلطان نحوه قبل هذه الأحداث (سنة ٨١١هـ/١٤٠٨م)، وربما منافسو جمال

---

(١) الصيرفي: نزهة النفوس، جـ٢، ص٢٤٠ (أحداث سنة ٨١٠هـ).

(٢) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٣٦.

(٣) يوقع على القضايا في دار العدل، ويجلس على يسار السلطان بها في مجلس المظالم، ويقرأ الرسائل على السلطان، ويتلقى أخبار الممالك ويعرضها على السلطان، ويتولى الإجابة عنها، وتجهيز البريد، ويحسن اختيار موظفي ديوانه، فلا يستكتب إلا من علم صلاحه لذلك. (القلقشندي: صبح الأعشى، جـ٤، ص٢٩، ٤٤، جـ١١، ص٩٢، ٩٣، ومحمد قنديل البقلي: التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٣م، ص ٢٨٢.

(٤) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٧- ٥٦٩.

الدين وأعداؤه كان لهم دور في تغيره عليه، ولعل منعه من التدخل في فصل المحاكمات كان بداية تقليص صلاحياته وهو لا يشعر[1]. وعلى كل، فبعد ثبوت خيانته، تطلع السلطان للقبض عليه في الشام، لكنه نُصح بأن يتم ذلك عندما يقترب من القاهرة؛ كي لا يهرب وتتم الإطاحة بكل ممتلكاته والقبض على أقاربه وحاشيته، وهو ما كان بالفعل[2]. وقد لعب الأمير تغري بردي الكبير دورًا كبيرًا في القبض على جمال الدين، والحفاظ على دولة السلطان فرج بن برقوق، وتخليصه من أكبر عدو يهدد دولته وسلطانه[3].

وهكذا ظن جمال الدين أن الأيام تعطيه مناه، لكن قدر الله منعه أن يُغْني عنه سلطانه، ولم ينفعه ماله، ولم يدافع عنه أعوانه[4]، وتكالبت الدنيا عليه، وتجرع من آلامها وعذاباتها، ولقي جزاء ما قدمت يداه من سفك الدماء، ونهب الأموال، والإفساد في الأرض.

(١) المقريزي: السلوك، جـ٤، ق١، ص٧٥، وابن حجر: إنباء الغمر جـ٢، ص٣٩٧. هذا وقد ألح جمال الدين على السلطان أن يسلم له أعداءه الذين يوغرون صدره عليه ليقتلهم، لكنه رفض ذلك، وسبه أمام رجال الدولة، وقام بعد ذلك بتعذيب جمال الدين واستخلاص الأموال منه. (المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٩).

(٢) ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، جـ١٣، ص٥٥- ٥٧.

(٣) ابن تغري بردي: المصدر السابق، جـ١٣، ص٨٦.

(٤) المقريزي: درر العقود، جـ٣، ص٥٦٦- ٥٦٧.

خلاصة

١- ركز البحث على بيان فساد دولة المماليك في المدة من سنة ٨١٠- ٨١٢هـ/ ١٤٠٧- ١٤٠٩م في عهد السلطان فرج بن برقوق، وذلك من خلال تسليط الضوء على الإستادار جمال الدين، وتتبع حياته في مراحلها المختلفة حتى سيطر على شئون الدولة.

٢- استعراض مظاهر الفساد السياسي والإداري والمالي، وبيان أسبابه المختلفة.

٣- نتائج تغلغل الفساد فترة سيطرة جمال الدين على مقاليد الأمور، وانعكاسه على طبقات المجتمع كله.

٤- بيان نهاية جمال الدين المفجعة، حيث عامله الله بالسوء سوءًا، وختم له بشر، فالجزاء من جنس العمل.

قوائم المصادر والمراجع

أولاً – المصـــادر :

ابن إياس (محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م):

– بدائع الزهور في وقائع الدهور، الجزء الأول، القسم الثاني، تحقيق: محمد مصطفى، الطبعة الثانية، مركز تحقيق التراث، الهيئة المصرية العامة للكتاب،١٩٨٣م.

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي ت٨٧٤هـ/ ١٤٧٠م):

– النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج١٢، ج١٣، تقديم وتعليق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية – بيروت ١٩٩٢م.

ابن حجر (أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت٨٥٢هـ١٤٤٩م):

– إنباء الغمر بأنباء العمر، جـ٢، جـ٤، تحقيق وتعليق: د. حسن حبشي، طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ١٩٩٤م.

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي ت٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م):

– الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، جـ١٠، دار الكتاب الإسلامي بالقاهرة، د.ت.

السيوطي (جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد بن سابق السيوطي ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م):

– حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، جـ٢، تحقيق: محمد أبي الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية بالقاهرة ١٩٦٨م.

الصيرفي (علي بن داود الجوهري الصيرفي ت٩٠٠هـ/ ١٤٩٤م):

– نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الزمان، جـ٢، تحقيق وتعليق: د. حسن حبشي، مطبعة دار الكتب المصرية بالقاهرة، ١٩٧١م.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي القلقشندي ت٨٢١هـ/ ١٤١٨م):

– صبح الأعشى في صناعة الإنشا، جـ٤، جـ٦، جـ١١، نسخة مصورة عن الطبعة الأميرية، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، د.ت.

المقريزي (أحمد بن علي بن عبد القادر المقريزي ت٨٤٥هـ/ ١٤٤١م):

– إغاثة الأمة بكشف الغمة، تحقيق: بدر الدين السباعي، دار ابن الوليد بالقاهرة، ١٩٥٦م.

– درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، جـ٣، تحقيق وتعليق: د. محمود الجليلي، دار الغرب الإسلامي – بيروت، ٢٠٠٢م.

– السلوك لمعرفة دول الملوك، الجزء الثاني، القسم الثالث، تحقيق د. محمد مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية، ١٩٧٠– ١٩٧١م.

- والجزء الرابع، القسم الأول، والثاني، والثالث ، تحقيق: د. سعيد عاشور، مطبعة دار الكتب بالقاهرة، ١٩٧٢ - ١٩٧٣م.
- المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، الجزء الثاني، الطبعة الثانية، مكتبة الثقافة الدينية بالقاهرة، ١٩٨٧م.

ياقوت (ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي ت٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م):
- معجم البلدان، الجزء الأول، تحقيق: فريد عبد العزيز الجندي، دار الكتب العلمية – بيروت، ١٩٩٠م.

ثانيًا - المراجع :

د/ أحمد عبد الرازق أحمد:
- البذل والبرطلة زمن سلاطين المماليك (دراسة عن الرشوة)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٩م.

د. سعيد عبد الفتاح عاشور:
- العصر المماليكي في مصر والشام، الطبعة الثالثة، الناشر: مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة ١٩٩٤م.
- المجتمع المصري في عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية بالقاهرة، ١٩٦٢م.

د. عبد المنعم ماجد:
- التاريخ السياسي لدولة سلاطين المماليك في مصر – دراسة تحليلية للازدهار والانهيار، مكتبة الأنجلو المصرية بالقاهرة، ١٩٨٨م.

محمد قنديل البقلي:
- التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٣م.

***